الأديان:

(مدخل عام إلى المقياس: معنى التربية الإسلامية وأهميتها)

((مفهوم الدين، مميزاته، أهميته، أقسامه))

معنى التربية:

تعريف التربية لغة:

يتضمَّن مصطلح التربية دلالات لُغوية متعددة، تشير جميعها إلى ما ينبغي أن تتضمَّنه العملية التربوية من أنشطة؛ كما يلي: (الإصلاح): يُقال: ربَّ الشيء: إذا أصلحه. والربيبة: الحاضنة، سُمِّيت بذلك لأنها تصلح الشيء، وتقوم به، وتجمعه[١]. و(النَّماء والزيادة): يُقال: ربَّ المعروف والصنيعة والنعمة: يربُّها ربًّا وربابا وربابة، وربَّبها: نمَّاها، وزادها، وأتمها، وأصلحها[٢]. و(النشأة والترعرع): قال الأصمعي: "رَبَوتُ في بني فلان، أَربُو: نشأتُ فيهم، وربَّيْتُ فلانًا أُرَبِّيه تَربية"[٣]. و(سياسة الناس وولاية أمرهم): يُقال: رَبَبْتُ القومَ: سُسْتُهم، أي: كنت فوقهم. والعرب تقول: لأن يَرُبَّني فلان أحب إلي من أن يَرُبَّني فلان[٤]؛ يعني: أن يكون ربًّا فوقي، وسيدًا يملكني. و(التعليم): قيل: الربَّاني: من الربِّ، بمعنى التربية، كانوا يربون المتعلِّمين بصغار العلوم، قبل كبارها. والرباني: العالم الراسخ في العلم والدين، أو الذي يطلب بعلمه وجه الله[٥].

وقد استنبط بعض المعاصرين من هذه الأصول اللغوية أن التربية تتكون من عناصر: أولها: المحافظة على فطرة الناشئ ورعايتها. وثانيها: تنمية مواهبه واستعداداته كلها، وهي كثيرة متنوعة. وثالثها: توجيه هذه الفطرة، وهذه المواهب كلها نحو صلاحها، وكمالها اللائق بها. ورابعها: التدرج في هذه العملية[٦].

تعريف التربية اصطلاحًا:

قال الأصفهاني: "الرَّبُّ في الأصل: التربية، وهو إنشاء الشيء حالًا فحالًا إلى حدّ التمام"[٧]. وقال البيضاوي: "التربية: هي تبليغ الشيء إلى كماله شيئًا فشيئًا"[٨]. وعلى ذلك فيمكن تعريف التربية المرادة بالبحث هنا بأنها: عملية بناء الطفل شيئًا فشيئًا، إلى حدِّ التمام والكمال. وتم اختيار كلمة «بناء»: لأنها تعني البذل والجهد، ووضع الشيء في مكانه، ومتابعة النظر إليه؛ بالرعاية والإصلاح، بعيدًا عن الإهمال. و «شيئًا فشيئًا»: ليكون على سبيل التدرج، وأن ما يصعب تحقيقه اليوم؛ يمكن أن يتحقَّق غدًا. و«إلى حد التمام والكمال»: يعني: الحد الذي يصل فيه الطفل إلى أن يتمسك بشرع

---

[١] - ابن منظور، «لسان العرب» (١/ ٤٠٤ - ٤٠٥).
[٢] - ابن فارس، «مقاييس اللغة» (٢/ ٤٨٣)، ابن منظور، «لسان العرب» (١/ ٤٠٥).
[٣] - ابن منظور، «لسان العرب» (١٤/ ٣٠٧)، الفيروز آبادي، «القاموس المحيط» (ص/ ١٢٨٦).
[٤] - ابن منظور، «لسان العرب» (١/ ٤٠٠).
[٥] - المصدر السابق (١/ ٤٠٤)، خالد بن حامد الحازمي، «أصول التربية الإسلامية» (ص/ ١٧).
[٦] - هو: الأستاذ عبدالرحمن الباني، انظر: عبدالرحمن النحلاوي، «أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع» (ص/ ١٧).
[٧] - الراغب الأصفهاني، «المفردات في غريب القرآن» (ص/ ٣٣٦).
[٨] - البيضاوي، «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» (١/ ٢٨).

الله من ذاته، ويحاسب نفسه بنفسه، ويراقبها، ويتابع تربية نفسه بتلاوة القرآن، والتمسك بالشرع الحنيف[٩].

أهمية التربية الإسلامية:

التربية الإسلامية ربانية المصدر، عالمية الشمول، ثابتة الأصول، مرنة التطبيق، تشمل ميادين الحياة الدنيا وكذلك الحياة الآخرة في توازن واعتدال، فهي تُعد الإنسان لعبادة الله تبارك وتعالى حق عبادته، وعمارة الأرض وخلافتها، وفق منهج رضيه الله لعباده، واختاره لهم، تلك التربية التي تؤصل العقيدة في النفوس، وترسخ الإيمان في القلوب، وتحبب شرع الله عز وجل إلى عباد الله.

وتبرز أهمية تربية الأبناء خصوصًا من جانبين عظيمين: الجانب الأول: تحقيق العبودية الصحيحة لله تعالى، وهي الغاية من وجود الخلق. فلا شك أن الهدف الأسمى من تلك الأهداف هو تحقيق العبودية الخالصة لله تعالى، ولا بد أن يكون جانب تحقيق العبودية مقرونًا بالتنشئة العقدية الصحيحة لأبناء المجتمع المسلم؛ وذلك لإعداد جيل مسلم صالح يعبد الله -عز وجل- على نور وبصيرة، ليصبح جيلًا مسلمًا صالحًا راشدًا مهيَّأً للاستخلاف في الأرض، وذلك هو غاية التربية الإسلامية، تلك الغاية التي من أجلها خُلِقَ الإنسانُ، فليس لله غرض من الخلْق إلا تحقيق العبودية له وحده لا شريك له. ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨]

الجانب الثاني: أهمية تربية الأبناء في ضوء حفظ الأمن العام في المجتمع: لقد جاءت الشريعة الإسلامية من لدن عزيز حكيم، جاءت لإسعاد البشرية في الدنيا والآخرة تدلهم على طريق الخير والهدى وتحذرهم من طريق الغواية والضلال وخطوات الشياطين وتأمرهم بالمعروف وتنهاهم عن المنكر وتحل لهم الطيبات وتحرم عليهم الخبائث، ومن مقاصد الشريعة الإسلامية حفظ الضرورات الخمس أو الكليات الخمس للإنسان وهي: الدين والنفس والعقل والعرض والمال فمن اعتدى على إحدى هذه الخمس أقيمت عليه الحدود والعقوبات التي تردعه وتزجر غيره من أن يعتدي على حرمات الله عز وجل وحقوق البشر، ولذا فإن الشريعة الإسلامية جاءت بما يحفظ الأمن ويحقق السعادة للبشرية في الدنيا والآخرة.

ومسؤولية التربية تقع على عاتق الوالدين أولا، ثم المعلم في المدرسة، وقد يتأثر الصغير بمعلمه أكثر من والديه. قال الغزالي: «الصبيُّ أمانةٌ عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرةٌ نفيسةٌ خاليةٌ عن كل نقشٍ وصورة، وهو قابلٌ لكل نقش، ومائلٌ إلى كل ما يُمالُ إليه، فإن عُوِّد الخيرَ نشأ عليه، وسَعِدَ في الدنيا والآخرة أبواه، وإن عُوِّد الشر وأُهْمِل إهمال البهائم، شَقِيَ وهَلَكَ، وكان الوزر في رقبة القيِّم عليه، وكما أن البدن في الابتداء لا يخلق كاملًا، وإنما يكمل ويقوى بالغذاء، فكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال، وإنما تكمل بالتربية، وتهذيب الأخلاق، والتغذية بالعلم»[١٠].

---

[٩] - محمد نور بن عبدالحفيظ سويد، «منهج التربية النبوية للطفل» (ص/ ٢٧ - ٢٨).

[١٠] - معالم التنزيل: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٠ هـ). تحقيق وتخريج: محمد عبد الله النمر -عثمان جمعة ضميرية- سليمان مسلم الحرش. الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الرابعة (١٤١٧ هـ).

للتربية أهمية كبرى في حياة المسلم بجوانبها الثلاثة: العقلي، والبدني، والروحي، وهي ضرورية أيضاً لمن أراد أن ينتقل من الجهل إلى العلم، ومن الضعف إلى القوة، ومن الخلق السيئ إلى الخلق الحسن. ومن أعظم ما يعين على التربية قراءة سير السلف والخلف ممن ضربوا أروع الأمثلة في التربية الحسنة.

الدعوة إلى التخلي عن الدين:

إلى عهد قريب ابتلي معظم العالم الإسلامي باستعمار أذاقه من ألوانا من الهوان والتخلف؛ وهو إلى اليوم يشعر بالهزيمة والضعف في نفسه، إزاء ما حققه غيره من تقدم مادي، أخذوا بأسبابه وتخلى هو عنها. وبدل أن يغير ما بنفسه فيغير الله ما به، وجد من ينادي بأن مصيبته في دينه، فإن أراد تحقيق ما حققه غيره، فما عليه إلا أن يهجر هذا الدين ويتبنى نقيضه.

عبارة "الدين أفيون الشعوب" مقولة للفيلسوف والاقتصادي الألماني كارل ماركس (١٨١٨-١٨٨٣)، وتشير إلى أن الدين يُخدر الناس ويُلهيهم عن واقعهم المعيش من الفقر والمعاناة والاستغلال، ويَعِدُهم بجنة ما بعد الموت، لتجنب المطالبة بحقوقهم في الحياة الحالية. والحقيقة: أن الدين يُوقظ شعورًا بالمسؤولية ويحث على العمل.

عبارة "دَعْ ما لِقَيْصَرْ لِقَيْصَرْ و ما لِلّهِ لِلّهِ" هي مقولة شهيرة منسوبة للسيد المسيح، تعني إعطاء كل ذي حق حقه؛ ما يُطلب من السلطة الحاكمة (لقيصر) يُعطى لها، وما هو حق الله يُعطى له سبحانه وتعالى، وقد استُخدمت كدليل على الفصل بين الدين والدولة، لكن هناك جدل حول تفسيرها، فالبعض يراها فصلًا بين السلطتين، والبعض يراها تذكيرًا بأن السلطة الدنيوية لا تلغي أبدًا السلطة الإلهية الشاملة. ونص العبارة موجود في إنجيل مرقس، كما يلي: "أعطوا ما لقيصر لقيصر، وما لله لله"، والنص جاء في سياق سؤال بعض اليهود للمسيح عن جواز دفع الجزية لقيصر.

ولكن الأمة الإسلامية لما بدأت تتطفل على غير المصادر الإسلامية، أو تطلب الخير من غير ما أنزل الله سبحانه وتعالى، وابتعدت عما أوحاه الله إلى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم؛ انهمكت في تقليد ومحاكاة الأمم الكافرة، فبقدر ما عبت ونهلت من هذه المنابع الأجنبية بقدر ما حصل من الخلل في التربية الإسلامية، والفكر التربوي الإسلامي.

ولكن من رحمة الله هذه البشارة من الرسول ﷺ؛ ببقاء هذا الدين واستمراره: وأن الله سبحانه وتعالى وعد النبي ﷺ بأن يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنةٍ من يجدد لها أمر دينها، وهؤلاء المجددون الذين يجددون أمر الدين ما فعلوا ذلك من تلقاء أنفسهم، ولا ابتعثوا من قبل دولة ولا سلطة، إنما ابتعثهم الملك الديان؛ لتجديد أمر الدين، وفاءً بوعده لرسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، فهم يجددون ما جهله الناس من أمر الدين.

مفهوم الدين[١١]:

الدّين في اللغة:

الدين في اللغة: مشتق من الفعل الثلاثي دان وهو تارة يتعدى بنفسه، وتارة باللام، وتارة بالباء، ويختلف المعنى باختلاف مايتعدى به.

- فإذا تعدى بنفسه يكون "دانه" بمعنى: ملكه وساسه، وقهره وحاسبه، وجازاه.
- وإذا تعدى باللام يكون "دان له" بمعنى: خضع له، وأطاعه.

[١١] - معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، محمود عبد الرحمن عبد المنعم، ج٢، ص٩٣-٩٤.

- وإذا تعدى بالباء يكون "دان به" بمعنى: اتخذه ديناً ومذهباً واعتاده، وتخلق به، واعتقده[١٢].

وهذه المعاني اللغوية للدين موجودة في "الدين" في المعنى الإصطلاحي كما سيتبين لأن الدين يقهر أتباعه ويسوسهم وفق تعاليمه وشرائعه، كما يتضمن خضوع العابد للمعبود وذلته له، والعابد يفعل ذلك بدوافع نفسية ويلتزم به بدون إكراه أو إجبار.

والدين: الملك والسلطان، قال اللّه تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾ [يوسف: ٧٦]؛ أي في سلطانه وملكه، وقال الشاعر من أهل الرّدّة:

أطعنا رسول الله إذْ كان حاضرا ... فيا لهفنا ما بال دين أبي بكر

يريد ملكه. ويطلق على: العادة والشأن؛ يقال: "هذا دَيْدَنُه"، أي عادته وطريقته. في لسان العرب، يُذكر أن الدِّين قد يعني العادة، كما في قول العرب: "ما زال هذا دِينَه"، أي عادته. واُستعِير للشريعة، ويطلق على الطريقة. ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ [الكافرون: ٦]. ويطلق على الحاكمية، قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٣٩﴾ [الأنفال: ٣٩] أي: حاكميته وانفراده بالتشريع ويأتي بمعنى: الجزاء؛ قال تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٣﴾ [الفاتحة: ٣].

ويطلق على القانون الذي ارتضاه اللّه لعباده، كقوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ۝١٣﴾ [الشورى: ١١]. إن المعنى الدقيق لكلمة "الدِّين" يعتمد على السياق، ففي النصوص الدينية، غالبًا ما تُستخدم بمعنى الشريعة أو الحساب، بينما في الشعر الجاهلي قد تحمل معنى العادة أو الخضوع.

الدين في الاصطلاح:

الدين في الاصطلاح العام: ما يعتنقه الإنسان ويعتقده، ويدين به من أمور الغيب والشهادة. أما في الاصطلاح الإسلامي: فهو التسليم لله تعالى، والانقياد له، والدين هو ملة الإسلام، وعقيدة التوحيد، التي هي دين جميع المرسلين، من آدم ونوح إلى محمد ﷺ"[١٣]. شرعه اللّه لعباده من أحكام سواء ما يتصل منها بالعقيدة أو الأخلاق أو الأحكام العملية.

ومنهم من عرفه بأنه (الشرع الإلهي المتلقَّى عن طريق الوحي) وهذا تعريف أكثر المسلمين. ويلاحظ على هذا التعريف قَصرُهُ الدين على الدين السماوي فقط، مع أن الصحيح أن كل ما يتخذه الناس ويتعبدون له يصح أن يسمى ديناً، سواء كان صحيحاً، أو باطلاً، بدليل قوله تعلى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٨٥﴾ [آل عمران: ٨٤].

الفرق بين الدين والملة و العقيدة والشريعة و المذهب:

لبيان الفرق بينها، يجب أن ننظر إلى هذه المصطلحات، من زوايا لغوية وشرعية وتاريخية.

١ . الدين: *لغة* كلمة "دين" مشتقة من الجذر "دان"، وتعني في اللغة العربية الخضوع، الطاعة، أو الجزاء. ويمكن أن تشير إلى العادة أو الحال. والدين اصطلاحا: هو المنهج الإلهي الشامل، الذي ينظّم علاقة الإنسان بربه وبنفسه وبالآخرين وبالكون، ويتضمن العقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات. وهو الإطار العام الذي يشمل كل ما أمر الله به ونهى عنه. ومن خصائص الدين: - أنه يشمل جميع الجوانب: العقيدة (الإيمان) والشريعة (التشريعات) والأخلاق. - وأنه: يُطلق على الأديان

[١٢] - ينظر: الدين، محمد عبد الله دراز، ص٣٠- ٣١.

[١٣] - الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، ناصر بن عبد الله القفاري وآخر، ص١٠.

السماوية (الإسلام، المسيحية، اليهودية) وعلى غير السماوية أحيانًا في سياق عام. وأنه في الإسلام الدين يعني: الإسلام نفسه كما ورد في القرآن: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]. مثال: الإسلام كدين يشمل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر (عقيدة)، وأداء الصلاة والزكاة والصوم والحج (عبادات)، والصدق والأمانة (أخلاق)، والمعاملات كالبيع والزواج (شريعة). قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَّبْتَغِ غَيْرَ ٱلإِسْلَٰمِ دِيناً فَلَنْ يُّقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٤]. معنى الدين في الآية: هو الإسلام بشموله.

٢. *الملة:* *لغة* مشتقة من "مل"، وتعني الطريقة أو المنهج الذي يسير عليه قوم. التعريف الشرعي: الملة هي الدين في سياقه العام الذي يجمع أمة أو قومًا على هوية دينية معينة، وغالبًا تُستخدم للدلالة على الأديان الكبرى (مثل ملة الإسلام أو ملة النصرانية). ومن خصائص الملة: - أنها الملة أوسع من المذهب وأخص من الدين، وتُستخدم للدلالة على الانتماء الديني العام. - وأنها قد تُطلق على الأمة التي تتبع دينًا معينًا. - وأنها في القرآن، تُستخدم للإشارة إلى دين الأنبياء أو الأمم. مثال: ملة إبراهيم تشير إلى التوحيد الذي دعا إليه إبراهيم عليه السلام، وهي الإسلام في جوهره. يقال: "فلان من ملة النصرانية"، أي يتبع الدين المسيحي كدين عام. قال تعالى: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ [الحج: ٧٦]. هنا الملة تشير إلى دين إبراهيم الذي هو الإسلام.

٣. *العقيدة:* *لغة* من "عقد"، وتعني الربط أو الإحكام، وهي ما يرتبط به القلب ويعتقد به بثبات. والعقيدة اصطلاحا: مجموعة المعتقدات والإيمانيات التي يؤمن بها المسلم في قلبه، وهي الجزء الاعتقادي من الدين. تشمل الإيمان بالله والملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقدر. ومن خصائص العقيدة: - أنها الجذر والأساس الذي يقوم عليه الدين؛ - وأنها تتعلق بالقلب والفكر، ولا تشمل التشريعات العملية مباشرة؛ - وأنها في الدين الإسلامي موحدة، ولا تختلف باختلاف المذاهب. مثال: الإيمان بأن الله واحد أحد، وأن محمدًا رسول الله، وأن القرآن كلام الله، كلها من مسائل العقيدة. ولو اختلف شخصان في عدد ركعات صلاة الظهر (مسألة شرعية)، فهذا لا يؤثر على عقيدتهما، طالما يؤمنان بالله ورسوله. قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ٢٨٤﴾ [البقرة: ٢٨٤]. هذه الآية تصف أركان العقيدة.

٤. *الشريعة:* *لغة* مشتقة من "شرع"، وتعني الطريق المستقيم أو مصدر الماء الذي يُشرب منه. والشريعة شرعا: هي الأحكام والتشريعات العملية التي تنظم حياة الإنسان، مثل العبادات (الصلاة، الصوم)، المعاملات (البيع، الزواج)، والعقوبات (الحدود). هي الجانب العملي من الدين. ومن خصائص الشريعة: - أنها تتعلق بالأفعال والسلوكيات، وانها قد تتغير في بعض التفاصيل حسب الزمان والمكان (مثل أحكام الجهاد أو العقوبات)، لكن أصولها ثابتة. – وأنها تشمل الأوامر والنواهي في القرآن والسنة. مثال: أحكام الصلاة (كيفية أدائها، أوقاتها)، أحكام الميراث، تحريم الربا، كلها من الشريعة. ولو اختلف شخصان في حكم شرعي (مثل جواز أكل لحم الحصان)، فهذا لا يعني اختلافًا في العقيدة. قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحاً وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾ [الشورى: ١١]. كلمة "شرع" في الآية تشير إلى التشريعات التي أمر الله بها.

٥. ***المذهب:*** *لغة* المذهب من "ذهب"، ويعني الطريق أو المنهج الذي يُسلك. والمذهب شرعا: التعريف الشرعي: المذهب هو اجتهاد فقهي أو تفسير معين للشريعة يتبناه عالم أو مجموعة علماء، في إطار الدين والعقيدة. والمذاهب تتعلق بالفروع الفقهية وليس بالأصول العقدية. ومن خصائص المذاهب: -أنها تنشأ نتيجة الاجتهاد في فهم النصوص الشرعية (القرآن والسنة). – وأن أشهر المذاهب الفقهية في الإسلام: الحنفي، المالكي، الشافعي، والحنبلي. وأنها قد تختلف في تفاصيل الأحكام الشرعية، لكنها تتفق على العقيدة والأصول. مثال: في المذهب الحنفي، يجوز تأخير صلاة العشاء إلى ثلث الليل الأخير، بينما المذهب الشافعي يفضل أداءها في أول وقتها. هذا اختلاف في المذهب، وليس في العقيدة أو الدين. المذهب الصوفي أو السلفي قد يُطلق أحيانًا على مناهج فكرية أو عقدية، لكن في الأصل المذهب فقهي.

العلاقة بين المصطلحات:

الدين هو الإطار العام الذي يشمل العقيدة والشريعة والأخلاق؛ والعقيدة هي الجذر الإيماني للدين، وهي ثابتة ولا تتغير؛ الملة هي الهوية الدينية العامة التي تجمع أمة على دين معين؛ والشريعة هي الجانب العملي من الدين، وتتضمن الأحكام والتشريعات؛ والمذهب هو اجتهاد في فهم الشريعة، وهو متغير حسب العلماء والزمان والمكان.

مثال توضيحي:

إذا أخذنا الإسلام كمثال: الدين= الإسلام بشموله (عقيدة، عبادات، أخلاق، معاملات). والملة: ملة الإسلام التي تجمع المسلمين كأمة. والعقيدة= الإيمان بالله وأن محمدًا رسوله. والشريعة= أحكام الصلاة، الزكاة، تحريم الربا. والمذهب= المذهب الحنفي أو الشافعي في تفاصيل الأحكام.

شاهد عملي:

شخص يؤمن بالله ورسوله (عقيدة)، يصلي خمس صلوات يوميًا (شريعة)، يتبع المذهب المالكي في كيفية الوضوء (مذهب)، وهو جزء من أمة الإسلام (ملة)، وكل هذا يندرج تحت الدين الإسلامي.

خلاصة:

الدين= المنهج الإلهي الشامل. والعقيدة= الإيمانيات والمعتقدات الأساسية. والشريعة= الأحكام العملية. والمذهب= الاجتهادات في تفسير الشريعة. والملة= الهوية الدينية العامة. ومجمل القول: إن كل مصطلح يكمل الآخر، والإسلام كدين يجمعها جميعًا في إطار واحد، مع اختلاف في التفاصيل حسب السياق والاجتهاد.

مميزات الدين الحق:

١. التوحيد:

يقوم الدين الحق على الإيمان بإله واحد لا شريك له، وعبادته وحده، وهو ما يوحد البشرية ويضبط علاقتها بالخالق.

٢. البساطة والمنطقية والقابلية للتطبيق:

فالإسلام دين لا أساطير فيه، وتعاليمه بسيطة وواضحة مفهومة، فهو لا يقرُّ الخرافة ولا المعتقدات التي تنافي العقول السليمة؛ والإيمان بوحدانية الله، وبرسالة محمد صلى الله عليه وآله وسلم من ربه، وبالحياة الآخرة هي المبادئ الرئيسية في العقيدة الإسلامية، وكلها قائمة على أساس

من الفكر السليم والمنطق الرصين، وجميع تعاليم الإسلام ترتكز على هذه الأسس الأولية وجميعها بسيطة وقويمة.

وليس في الإسلام سلطة كهنوتية تحتكر الدين، ولا أفكار مجردة يصعب تصديقها، ولا طقوس دينية معقدة، بل يستطيع كل إنسان أن يقرأ كتاب الله «القرآن» ثم يصوغ حياته عملياً طبقاً لهذا الكتاب. والإسلام يحثّ الإنسان على التفكر وتدبر الأمور، وعلى البحث عن الحقيقة والسعي إلى المعرفة؛ ويأمر الله الإنسان أن يسأل ربه المزيد من العلم. ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ [طه: ١١١] .

٢ . وحدة المادة والروح:

من الخصائص الفريدة للإسلام أنه لا يفصل بين المادة والروح بل ينظر إلى الحياة على أنها وحدة تشملهما معاً، فلا يحول بين الإنسان ومقتضيات الحياة، بل يتولى تنظيم هذه المقتضيات؛ لا يقر الحرمان ولا يطلب تجنُّب الحياة المادية، بل يرسم الطريق إلى رفعة الجانب الروحي من خلال تقوى الله في النواحي المختلفة من حياة البشر، لا من خلال إنكار المطالب الدنيوية، ويحكي عن عباد الله الصالحين. قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْاَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ أُوْلَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [البقرة: ١٩٩-٢٠٠].

كما ينعى على أولئك الذين لا ينعمون بواسع فضل الله وما خلق من متاع طيب فيقول: {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَءَامَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُون} [الأعراف: ٣٢] ولكنه في الوقت ذاته يطلب إليهم أن يكونوا في ذلك أمَّةً وسطاً: {يَابَنِيءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ المُسْرِفِينَ} [الأعراف: ٣١].

فالإسلام على ذلك لا يقر الفصل بين المادية والروحانية في حياة الإنسان، ولكن يؤلف بينهما حتى يتسنى للإنسان أن يمارس الحياة بكل طاقاته على أسس صحيحة سليمة، ويعلمه أن الجانبين المادي والروحي متلازمان متلاصقان، وأن تنقية الروح من الشوائب أمر ميسور إذا استخدمت المادة لصالح الإنسانية، ولا يتم ذلك بالتقشف والزهد وقهر الغرائز الحيوية.

٣ . الإسلام نظام كامل للحياة

ليس الإسلام ديناً يحصر فعاليته في نطاق الحياة الفردية للإنسان كما هي الصورة المشوهة عنه في أذهان الكثيرين؛ بل هو نظام كامل للحياة البشرية في مختلف ميادينها يرسم الطريق لكل جوانبها، سواء في ذلك حياة الفرد أو الجماعة، وفي جانبيها المادي والروحي، وفي مجالاتها الاقتصادية والسياسية والتشريعية والثقافية والإقليمية والعالمية، والقرآن يحض الناس على الدخول في الإسلام دون أدنى قيد أو شرط إلا أن يقيموا أمر الله في جميع نواحي حياتهم.

٤ . الموازنة بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة

وهناك ظاهرة أخرى فريدة في دين الإسلام أنه يوجد تناسق بين حياة الفرد وحياة الجماعة، فهو يؤكد وجود الكيان الشخصي للفرد ويعتبر كل إنسان مسئولاً ومحاسباً أمام الله، ويضمن للفرد الحقوق الأساسية، ولا يبيح مطلقاً لأي كائن أن يعبث بها أو أن ينتقص منها، ثم هو يحافظ على كرامة الفرد وشخصيته، ويجعل ذلك في المقام الأول من تعاليمه التربوية، ولا يؤيد مبدأ ضياع الكيان الفردي في نطاق كيان الجماعة أو الدولة. قال تعالى: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَأَن لَّيْسَ لِلِانسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ثُمَّ يُجْزِيهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلَاوْفَىٰ ﴾ [النجم: ٣٧-٤٠] . وقال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٥]

هذا في جانب حياة الفرد، أما فيما يتعلق بحياة الجماعة فالإسلام يغرسُ في النفس البشرية شعورها بمسئولية الجماعة ويربط بين الناس في نطاق الجماعة والدولة، ويأمر كل فرد بمراعاة الصالح العام المشترك، فالصلاة في الإسلام تقام في جماعات وفي هذا ما يغرس الشعور بالنظام الجماعي في نفس الفرد الواحد.

والزكاة فرض على من يملك نصابها، قال تعالى: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالمَحْرُومِ﴾ [الذاريات: ١٩]، وهي حق للجماعة طبعاً. والجهاد فرض، وفي هذا ما يوجب على الفرد ـ إذا جد الجد ـ أن يبذل حتى روحه دفاعاً عن الوطن والإسلام والدولة الإسلامية.

٥. عالمية الإسلام

الإسلام رسالة من الله إلى الجنس البشري بأسره ويقرر الإسلام أن الله سبحانه وتعالى هو رب العالمين: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ١] وأن النبي ﷺ رسول الله إلى الناس كافة، ويؤكد القرآن ذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالاَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلاُمِّىِّ ٱلَّذِى يُومِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ١٥٨﴾ [الأعراف: ١٥٨].

والإسلام يقرر أن المسلمين سواسية، مهما اختلفت ألوانهم وألسنتهم وأجناسهم ومواطنهم، وينكر كل فارق من جنس أو طبقة أو مال، وفي هذا يقول الرسول ﷺ "لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى"[١٤]. فالإسلام دين عالمي في نظرته للأمور وعلاجه لها، ولا يجيز مطلقاً قيام الحواجز والمميزات التي نشأت في عهود الجاهلية؛ إنه دين يهدف إلى جمع البشر كافة تحت راية واحدة، وهو بلا شك بالنسبة لهذا العالم الذي مزقته الأحقاد والتنافس بين أممه المختلفة،

٧. القضاء والقدر:

يمنح الدين الحق الإنسان استقرارًا نفسيًا عبر الإيمان بأن كل ما يحدث في الكون مقدر من الله، وأن الإنسان مسؤول عن اختياراته، مما يقلل القلق والتوتر.

٨. الدعوة إلى الخير:

يهدف الدين الحق إلى نشر الخير والمعروف في المجتمع، ومقاومة الشر والفساد، وتحقيق العدالة والسلام.

[١٤] - مسند الإمام أحمد، صحيح.